موسوعتي الصغيرة

10

القهوة

دار ماهر

موسوعتي الصغيرة



... إنطلاقاً من مبدأ "العلم يختصر الزمن" تحركت المناهج التربوية بمستوياتها بعد ان اصبحت قدرة الأطفال على التلقي والإستيعاب في سن مبكرة، اكثر اتساعاً وخاصة في المجالات العلمية. وصارت احاسيس ومدارك الأطفال تحاكي الحقيقة العلمية.

لقد انتهى زمن الساحرة والخوارق الخرافية وهي غالباً ما تكون من نسج الخيال.

واصبحت الثقافة العلمية عنصراً اساسياً في بناء انسان الغد.

انطلاقاً من هذه الثوابت رأينا في " دار ماهر " ضرورة تقديم هذه المادة لأصدقائنا الناشئة والصغار وهي ليست سوى توطئة لمواد اخرى اكثر علمية ومجارية للتطور في العديد من نواحي المعرفة.

موسوعتي الصغيرة سلسلة قد لا تنتهي ... لان بحر العلوم لا ينضب

الناشر

10

القهوة

الطبعة الاولى
١٩٩٧



للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت- لبنان . هاتف: (٠٣)٢٠٠٨٢٤

القـهـوة

نستقبلُ الصباحَ برائحتها ونقدِّمُها لضيوفنا باعتزاز ، هي صاحبةُ الحضور البارز في حياتنا ومناسباتنا ، هذه المادةُ التي أقبلْنا على ارْتشافها حتى الإدمان ، وفعلَتْ فينا فعلَ الأرَق ، يعودُ الفضلُ في اكتشافها الى أحد الرعاة في اليمن - البلَد العربيِّ ، الذي يقعُ في شبه الجزيرة العربية . إنها القهوة .

كانَ الراعي يداعبُ نايَهُ بأصابعه الخشنة وهو يراقبُ أغنامَهُ التي تلتهمُ الكلأ بنهم . لقد انتصف ذلك النهارُ الجميلُ ، لكنَّ القطيعَ لمْ يأخذْ قيلولة الظهيرة المعتادة . وها هي الشمسُ تقتربُ من مغربِها والقطيعُ على نشاط غير عاديٍّ .

انشغلَ الراعي بالسرِّ الذي أرّقَ أغنامَه ، وفيما هو كذلكَ شاهدَ بضعَ غنماتٍ كانتْ تلتهمُ أغصانَ تلكَ الشجرةِ ،

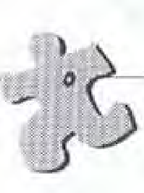


ذاتَ الأوراق المستطيلة والحبوب الوردية الصغيرة . تذوَّقَ إحداها فكانتْ مرَّةَ المذاق ، رماها إلى نارٍ موقدة فانبعثتْ منها رائحةٌ زكيةٌ عبقةٌ زادتْهُ انتعاشاً .

حكى لرفاقه الرعاة حكايةَ القطيعِ الذي لم ينمْ والشجرةِ التي تحملُ ثماراً ذاتَ رائحة فريدة فتعجَّبوا .

ولقدْ خطرَ ببال أحدهم أن يغلُوَ كميةً من تلك الحبوبِ في قدر ماء ، وإذا بهمْ يقعونَ على شرابٍ لذيذ وجديد .

وفي تلك الليلة المقمرة ، تناهتْ جلبةُ الرعاة الى أسماعِ ذلكَ الشيخِ الصوفيِّ المقيمِ في القرية المجاورة . ولما أتاهُ خبرُ ما وقعَ عليه الرعاةُ تنبَّه لأمر تلامذته الذين يغلبُهُمُ النعاسُ إذا ما قاموا للصلاة في منتصف الليل . طلبَ كميةً من تلكَ الحبوب ، وغلاها بالماء ، ثمَّ أمرَ التلامذةَ أن يشربوا منها ، فدُهشَ عندما سمعَهم ينشدونَ صلاةَ نصف الليلِ بنشاط وحماسٍ شديدَيْن . وسرعانَ ما انتشرَ هذا الشرابُ بينَ



حلقاتِ المتصوفينَ الذينَ كانوا يستعينونَ به على قيامِ الليلِ ، وسمّوه «خمرَ الصالحينَ» . وكان ذلك في القرنِ التاسعِ الهجريِّ ، أي خلالَ القرنِ الرابع عشرَ الميلاديِّ .

فطنَ اليمنيُّونَ لأمر تلكَ الأشجار التي تنبتُ فوقَ جبالهِمْ ، فراحوا يجمعونَ ثمارَها ويجفّفونَها فوقَ أسطحِ منازلِهِمْ مثلَ الزبيب . وفي الصيف راحوا ينقعونَها بالماء ويشربونَها فتنعشُ أبدانَهُمْ وتخفّفُ عنهم حرارةَ الصحراء . لكنَّ أحدَهم جمعَ كميةً منْ تلكَ الحبوب وهبطَ بها الى الأسواق بعدَ أنْ جفّفَها ونزعَ عنها قشرتَها فحقّقَ أرباحاً طائلة بذلكَ . وهناك عمدَ أهلُ المدينة الى طحنها وغليها في أوان صغيرة ، وإذا بين أيديهم شرابٌ أسودُ تلذّذوا بنكهته وذاعتْ شهرتُهُ ، وكانَ أولُ منْ شربَهُ الشيخُ عليُّ بنُ عمرَ الشاذليّ اليمنيّ .

على أنَّ انتشارَ القهوة بادىءَ الأمر كانَ في دواوين الأعيان والأمراء الذينَ بدأوا يقدمونَها لضيوفِهِم ، حيثُ عُرفَ هذا



التـقـليـدُ منذُ ذلكَ الزمن . ثـم أُنشـئت المقـاهي التي كـانوا يطلقـونَ عليْهـا آنذاكَ «بيـوت القهـوة» وأصبح يرتادُها الناسُ منْ مـختلف الطبـقات ، ولـم تـلبثْ هذه البيوتُ أنْ أصبـحتْ تجـمعُ حلقـات الرقصِ والغناء والـطربِ ، ولعب الشطرنجِ والقمار والميسر فثارَ الفقهاءُ وأصدروا الفتاوى القائلةَ بتحريم القـهوة ومـصادرَة أدواتهـا واعتبار بيوتـها كـالخمّارات سـواءً بسـواء ، وكـانَ جـدالٌ عنيفٌ حـولَ هذه المسـألة واخـتلفَ الفـقـهاءُ بينَ محرِّمٍ ومـحلِّلٍ للقـهوة ، وقـد قضَى عـددٌ منهمْ بتهمة الزندقة في هذا الصراع .

ورغمَ ذلكَ انتشرت القـهوةُ في مختلف أنحـاء المعمورة وغدت الشرابَ المفضَّل لدى معظمِ الشعوبِ .

ففي العـام (١٥٥٤) قدمَ رجلٌ دمشقيٌّ إلى القسطنطينية وأنشأ أول مقهى في تاريخ السلطنة العثمانية ، وقدْ راعى في إنشائه الفخامةَ والأبّهةَ لاجتذابِ الزبائنِ ، فذاعَ صيتُهُ ، وما



لبثت أن انتشرت المقاهي في أنحاء العاصمة . ولم يمضِ طويلٌ وقت حتى أصبحت المقاهي تستقطبُ الناسَ من مختلف الطبقات ، وقدْ بدأوا بالعزوف عن ارتياد المساجدَ ، فتحرَّكَ رجالُ الدينِ وقادوا حملةً ضدَّ المقاهي وأصدروا فتاوى بتحريمِ القهوة ، مثلها مثل الخمر . ولما لم يأخذ الأتراكُ بهذه الفتاوى فرضَ العلماءُ عقوبات مدنيةً على شاربي القهوة ومرتادي المقاهي ، فنشأتْ «سوقٌ سوداءُ» للقهوة ، وأخذَ الناسُ يحتسونَها في الخفاء .

ثم عُرفت المقاهي في بلاد العجمِ وكانَ ارتيادُها مباحاً ، ولكنَّ هذا اقتصرَ على أفراد الطبقة المثقفة من المصلحينَ والشعراء والمؤرخينَ الذينَ اتخذوا منَ المقاهي أماكنَ لنشرِ آرائهمْ وأفكارهمْ بينَ الناس .

أمّا في مصرَ فكانَ أولُ ظهور للقهوة في الجامعِ الأزهرِ ، حيث أحضرَها الطلابُ اليمنيونَ معهمْ في منتصفِ القرنِ



السادس عشرَ ، وراحوا يشربونَها معَ منْ جاورهمْ في رواقهمْ من الطلاب ، ثم انتشرت المقاهي في مختلف شوارعِ القاهرة والمدن الكبرى ، التي راحتْ تتنافسُ في افتتاحِ المقاهي الجديدة وتتأنّقُ في إضفاء ما يغري بقضاء وقت ممتعٍ فيها .

وأما إلى أوروبا فقدْ وصلت القهوةُ على يد النمساويينَ الذينَ هزموا الأتراكَ في معركة فيِنّا عام (١٦٨٣) ، إذ حدثَ أنْ أرادَ أمبراطورُ النمسا أن يكافىءَ أحدَ جنوده ويدعى «كولشتزكي» على بطولاته أثناءَ المعركة ، فسمحَ لهُ أن يختارَ بنفسه نوعاً منَ الغنائم ، فاختارَ الجنديُّ كميةً منَ البنِّ ، وكان تعلّم منْ أحد الأسرى الأتراك طريقةَ صنعِ القهوة ثمَّ افتتحَ مقهى في فيِنّا كانَ الأولَ منْ نوعه في أوروبا .

وفي ألمانيا انتشرت القهوةُ بشكلٍ سريعٍ وواسعٍ ، فحقّقَ التجارُ الأجانبُ أرباحاً طائلةً ، وهذا ما دعا الملكَ فريدريكَ



الأكبرَ ليمنعَ القهوةَ عنْ مواطنيه داعياً لاحتساء البيرة بدلاً عنها . وبعدَ ذلكَ احتكرَ الملكُ استيرادَ البنِّ والإشراف على طحنه حتى أصبحَ مورداً مهمّاً من موارد الدولة ، وعيَّنَ عدداً من الموظفين سموا «الشمّامين» لتعقُّب أصحاب المطاحن غير المرخَّص بها ، وذلكَ بتشمُّمِ روائحِ البنِّ الطيبة المنبعثة منْ مكامنهم . وكانَ الشمّامون يُمنحونَ نصفَ الغرامات التي تُفرَضُ على المخالفينَ .

وفي إنكلترا ومعَ بداية انتشار القهوة أصدرَ الملكُ شارل الأول قانوناً يحظرُ افتتاحَ المقاهي وارتيادَها . لكنَّ هذا القانونَ قوبلَ بالاستنكار الشديد منْ كافَّة طبقات الشعب ، مما أجبر الحكومةَ على تعديلِ هذا القانون بادىءَ الأمر ثم إلغائه . وكانت النتيجةُ أنْ تكاثرت المقاهي وازْدهرتْ في لندنَ خصوصاً وأصبحتْ مراكزَ للناسِ من مختلف الفئات . وهكذا انتشرت المقاهي في كلِّ العواصمِ والمدن

الأوروبية ، وقد تطوَّرتْ بعدَ ذلك لينشأ على أنقاضها وإلى جانبها كثيرٌ منَ النوادي المعروفة .

وشجرةُ البنِّ التي تُستخرجُ منها القهوةُ يبلغُ أقصى ارتفاعها حوالي ستَّة أمتار ، وتعمرُ ثلاثينَ سنةً ، وتتميزُ بأوراقها الخضراء القاتمة وأزهارها البيضاء التي تخرجُ مزدوجةً أو ثلاثةً ثلاثةً ، وفي وقت الخضرة يكونُ الثمرُ غضّاً ومراً ، وعندَ نضوجه يصبحُ لونُهُ أحمرَ مائلاً الى السواد . وغالباً ما يُجمَعُ البنُّ قبلَ نضوجه ويُنشرُ تحتَ أشعة الشمسِ حتى يجفَّ ويصبحَ لونُهُ أسودَ ثم تدورُ عليه الرَّحى حتى يخلص من قشره ويصبحَ جاهزاً للاستعمال .

وقد اعتادَ العربُ قديماً أن يقلوا البنَّ بالنار بواسطة آلة خاصة تسمَّى «المحمَص» وهي عبارةٌ عنْ دائرة حديدية مجوفةً قليلاً متصلة بيد طويلة ، ثم يطحنونَهُ بآلة خاصة أيضاً تسمَّى «المهباجَ» وهي عبارةٌ عنْ جرنٍ خشبيٍّ ولَهُ يدٌ



مماثلةٌ تُستخدمُ لدقِّ البنِّ بداخله ، وقد ابتكره أحدُ الخشّابينَ العرب القدماء لهذه الغاية ، حتى أصبحَ تقليداً لا غنىً عنهُ في مجالس الأمراء والشيوخِ ودواوينهم ، ويستعملُه مختصٌّ يتفنَّنُ في دقِّ البنِّ فيُعطي ألحاناً موسيقيةً يطرَبُ لها الحضورُ . وكانَ للقهوة وما يزالُ حضورٌ بارزٌ في مختلف المناسبات المفرحة منها والمترحة .

ولقد اختلفت الأذواقُ في شرب القهوة ، فمنهمْ من يشربُها محلاَّةً بالسكرِ ، ومنهمْ من يشربُها مرَّةً ، ومنهمْ من يشربُها بفنجان كبير ، ومنهمْ منْ يشربُها بفنجان صغيرٍ ، واعتادَ البعضُ أن يُضيفَ إليها قليلاً من حبِّ الهالِ الذي يُضفي على القهوةِ مذاقاً ونكهةً طيِّبيْنِ .

وتحتوي حبوبُ البنِّ على نوعينِ منَ الموادِّ المنبهة الخفيفة : «الكافيين» ويوجد بنسبة (١.٥) بالمائة وهو منبِّهٌ للأعصاب لكنهُ لا يتركُ أيَّ أثرٍ سلبيٍّ بعدَ تناوله . «والشيوبرومين»



ويوجدُ في القهوةِ بنسبة ضئيلة وهوَ مُدرٌّ للبَوْلِ .

ومثلما اهتمَّ المؤلّفونَ بالقهوة فوضعوا فيها الكتبَ كما وضعَ الشعراءُ فيها القصائدَ ، كذلكَ فقد اهتمُّوا بأصلِ التَّسمية . وقيلَ في ذلكَ أنَّ القهوة هي من أسماء الخمر أساساً ، وبعدَ اكتشاف شجرة البنِّ سُمِّيت للتمييز قهوةَ البنِّ . أما الكلمة فهي من «الإقهاء» ومعناها الإقعادُ أو الاكراهُ ، ذلكَ أن القهوةَ تُقعدُ شاربَها منَ النومِ وتكرِّهُهُ بالطعامِ ، مثلها مثل الخمرِ .

وتنمو شجيراتُ البنِّ حاليّاً في البرازيل التي تُعتبرُ أكبرَ مُنتج لهذه المادة في العالم ، وفي اليمنِ وجزيرة العربِ وسيلانَ وجزر الهند الغربية وسومطرة وغيرها منَ البلاد . وقد غدتْ تجارةُ البنِّ تجارةً عالميةً تعرفُها جميع مرافىء العالمِ تقريباً .





موسوعتي الصغيرة
10
القهوة
دار ماهر